فى بيتنا سارق .. ماذا نفعل؟

المقدمة:

نعلم جميعًا ما للطفولة من أهمية فى تكوين بدايات شخصية الإنسان، وما لها من تأثير فى بقية أيام حياته، ولذلك فالطفولة هى أهم مراحل النمو النفسى للشخص فهى حجر الأساس لتكوين شخصية الطفل وإذا تم بناؤه بصورة صحيحة وسليمة نتج عنها شخص مثالى يستطيع مواجهة صعوبات الحياة بكل ثبات.

ويجد الآباء والأمهات فى أطفالهم عادة مصدر سرور ومتعة كبيرة- غير أن المسئوليات الشديدة المرتبطة بالوالدية- قد تعيق وتعكر أحيانًا هذا السرور بحيث يتحول إلى نوع من القلق لديهم عندما يسلك أطفالهم بطريقة خاطئة أو غير مألوفة، والطفل الذى لم يكن مصدر هموم أو قلق بالنسبة لوالديه فى إحدى مراحل نموه هو طفل فريد أو نادر.

وتعتبر السرقة من الجرائم الشائعة التى تتكرر بصورة متفاوتة فى كل مجتمعات العالم.. وقد كانت ولا تزال الجريمة بأنواعها من الظواهر المرتبطة بتاريخ الإنسان على مر العصور.. ولا يكاد يخلو

مجتمع فى العالم من نوع أو آخر من الجرائم.. ومثال على الحوادث اليومية للخروج على القانون، التى تحدث باستمرار، وتمثل أحد الهموم التى يعانيها الناس؛ ومنها السرقة.. وتزدحم بأخبارها صفحات الحوادث فى الصحف...

والسرقة ظاهرة تقلق الأهل أكثر من غيرها فى سلوك الأطفال وهو ما يطلق عليه الأهل سلوك المجرمين، وبالتالى فإنهم يظهرون اهتمامًا كبيرًا بذلك، ففى كل عام يذهب حوالى ٢٥٠٠٠ طفل إلى الإصلاحية بسبب السرقة.

ويتعلم الأطفال أن السرقة عمل خاطئ إذا وصف الآباء والأمهات هذا العمل بالخطأ وعاقبوا أطفالهم فى حال الاستمرار فى ممارسته، بذلك يبدأ مفهوم السرقة بالتبلور لدى الطفل.

والسرقة من السلوكيات التى يكتسبها الطفل من بيئته أى أن الأمر عبارة عن سلوك اجتماعى يمكن اكتسابه عن طريق التعلم فالطفل الذى لم يتعلم التفرقة بين خصوصياته وخصوصيات الغير أو بين ملكيته وملكية الآخرين يفتقد التفريق بين حقوقه وحقوق غيره.

إن كثيرًا من الأشياء التى يسرقها الأطفال ليست بذات قيمة أو نفع لهم، وتبدأ السرقة كاضطراب سلوكى واضح فى الفترة العمرية (٤-٨) سنوات.

وقد يتطور الأمر ليصبح جريمة فى عمر ١٠-١٥ سنة، وقد يستمر الحال إلى المراهقة المتأخرة.. ويصبح هذا السلوك (السرقة) سلوكًا مرضيًا ومشكلة نفسية فى هذا العمر ويحتاج إلى معرفة الأسباب وضرورة العلاج.

وتستمر السرقة خلال فترات النمو النفسى والبدنى للطفل، إما عملاً أو فعلاً مدبرًا يقوم به بين حين وآخر.. أو سلوكًا مستمرًا من النشاط تتم ممارسته تقريبًا كل يوم بهدف التمتع بالشىء المسروق وتفادى الانكشاف والعقوبة. والطفل السارق غالبا ما يكون مجهول الهوية أى غير معروف بسبب ما يقوم به من محاولات تستر على نفسه وما يفعله وتختلف السرقة عن النهب أو السلب التى يمارسها الأطفال الأقوى أو الأكبر على الأطفال الآخرين كاشفين عن أنفسهم مع الفخر والزهو بما يفعلون.

ومن الأمور الشائعة لجوء الطفل السارق للإنكار التام عند مواجهته بالأمر وهذه مشكلة فى حد ذاتها.

إن التربية السليمة تعلم الطفل منذ نعومة أظفاره بأن الاعتداء على أملاك الآخرين من الصفات غير الاجتماعية والتى يرفضها القانون و تتنافى مع الأخلاق وإن هذا الاعتداء سوف يسمونه الناس سرقة.

وفى الوقت نفسه على الأسرة ألا تتقبل سرقة الطفل لشىء ما على أنه ما زال طفلاً وأن ما أخذه هو من الأسرة لا من أحد آخر غريب

عن الأسرة لأن ما يتعلمه الطفل داخل الأسرة سوف ينتقل أثره إلى المجتمع.

والأمانة أمر يكتسب ولا يورث وهى من خصائص الخلق التى يعلق عليها المجتمع أهمية كبيرة، فالطفل لا يدرك الأشياء التى تخصه فيملكها، أو التى تخص غيره. ويساعده على هذا الالتباس فى أوائل حياته أن أفراد الأسرة كثيرًا ما يشتركون فى استعمال أشياء منزلية متعددة بينما يكون ميل الطفل إلى التملك قد أخذ ينمو والطريق الطبيعى لذلك أن يتعلم الطفل أن هناك أشياء معينة تخصه وهو يملكها وحده دون سواه، وأشياء أخرى تخص غيره من المحيطين به .

إن السرقة تشبه الكذب فى كثير من الأوجه، وتظهر السرقة مع بعض الأطفال فى المنزل أو فى رياض الأطفال، حين ينمو لديه حب التملك ولا يجد شيئًا يملكه بالطرق الطبيعية فيجد أن السرقة أقصر طريق لتحقيق ذلك.

فالسرقة ليست حدثًا منفصلاً قائمًا بذاته، إنما هى سلوك يعبر عن حاجة نفسية. ولا بد من فهم الدوافع إلى السرقة ومكانتها من تكوين الشخصية قبل الاتجاه نحو علاجها. ويعتمد الأطفال على البيئة التى يعيشون فيها فى تكوين موقفهم الخلقى، غير أن السرقة ليست إلا وسيلة لغاية، والأشياء التى يسرقها الأطفال ليست فى الحقيقة هدفهم الذى يعملون للوصول إليه، بل إن الشىء المسروق ليس سوى أداة تستخدم فى إصابة الهدف المرغوب.

إن السرقة عرض شائع فى حياتنا إلا أنه غير ظاهر بوضوح بسبب تردد الآباء وأفراد الأسرة فى الإفصاح عن سرقات الأطفال أو الكبار داخل الأسرة ومناقشتها كظاهرة أمام الآخرين.

وقد يقترب منك ويشكو لك.. هذا الأب يشكو: اختفى من بيتى مبلغ كبير من المال ولم يكن هناك شخص غريب قد دخل البيت وابنه بالمرحلة الثانوية ينكر بشدة سرقة هذا المبلغ، وينتهى الموضوع.. وهذا زوج يشتكى اختفاء مبالغ مالية باستمرار من جيبه والزوجة تنكر تمامًا علاقتها بالسرقة.. وهذه زوجة يختفى منها بعض القطع الذهبية وهى متأكدة من أن زوجها له علاقة بالموضوع، إلا أنها لا تستطيع مواجهته خوفًا من لسانه وغضبه وقسوته.. وهذا شخص يختفى من حافظة نقوده مبلغ كبير من المال وهو فى بيت أهله، ولا يوجد معه سوى الأخوات، وليس هناك شغالة بالمنزل، ويتكتم الأمر تمامًا خوفًا من رد فعل الأم أو الأب..

وهناك الكثير والكثير ممن يتعرضون للسرقة ويتكتمون الأمر خوفًا من الفضيحة..

.. إذن السرقة منتشرة وتمثل أحد الهموم التى يعانيها الناس وهى جريمة كبرى ومن أجل أهمية هذا الموضوع وشيوعه فى بعض الأسر والبيوت أقدم هذا الإصدار من سلسلة ثقافة سيكولوجية للجميع... وسوف نبدأ سويًا مع تعريف السرقة، ثم أسبابها ودوافعها، والجوانب

الدينية والنفسية والاجتماعية للسرقة، والدور الذى يمكن أن تلعبه الأسرة فى اكتساب الأبناء لظاهرة السرقة، موقف الإسلام من السرقة وبعض النماذج والحالات من السارقين، أهم طرق الوقاية من مشكلة السرقة وكيفية العلاج.. وذلك إلى جانب العديد من الجوانب والأمور المتعلقة بهذه المشكلة الخطيرة.. وذلك من أجل تنمية وعى الآباء والأبناء والمربين والجميع بهذه الظاهرة وكيفية مواجهتها بشكل جيد مما يحفظ للأسرة كرامتها وعزتها وأمنها.

وأدعو الله أن أكون قد وفقت فى عرض هذه المشكلة وأن ينتفع بهذا الإصدار المنفعة القصوى والمرجوة.

مفهوم السرقة

السرقة هي محاولة تملك شيء يشعر الطفل أنه لا يملكه، وعليه يجب على الطفل أن يعرف أن أخذ شيء ما يتطلب إذنًا معينًا لأخذه، وإلا اعتبر سرقة.

والسرقة مفهوم واضح لدينا نحن الكبار نعرف أبعاده وأسبابه وأضراره، ونحكم على من يقوم به الحكم الصحيح، ونستطيع تحاشى أن نكون الضحية.

أما الطفل فإنه لا يدرك تمامًا مفهوم السرقة وأضرارها على المجتمع ونظرة الدين والقانون والأخلاق إليها.

- ومن مفهوم السرقة أيضًا (انعدام الأمانة).

- والسرقة استحواذ الطفل على ما ليس له فيه حق، وبإرادة منه، وأحيانًا باستغفال مالك الشيء المراد سرقته أو تضليله.. وهو سلوك مرضي يعبّر عن حاجة نفسية لدى الطفل تحتاج إلى إشباع.

- والسرقة هي أخذ الشيء في خفية يقال: استرق السمع أي سمع مستخفيًا.

وهناك عدة تعريفات أيضًا وردت في تعريف مصطلح السرقة، ومن هذه التعريفات:

- "هى آفة من الآفات التى تفتك بالشباب تقتل روح الأمانة والنبل والنقاء فى نفوسهم، فالإقدام على انتهاك أموال وممتلكات الآخرين تعنى أنّ الشاب السارق يسلك أقصر الطرق للحصول على المال الذى يتطلّب جهدًا وعلمًا وسعيًا وصبرًا فى كسبه".

- "إن السرقة عمل غير مقبول عرفاً وشرعًا، ولذا فالجميع يبغضونه وينكرونه، وينظرون إلى فاعله بازدراء وحقارة، والآباء الذين يبتلون بأولاد يمارسون هذا الفعل القبيح عليهم التمييز بين الطفل الصغير ذى الثلاث سنوات وآخر يتجاوز الخمس سنوات، فالأول لا يميّز بين الخير والشر، ولذا نجده لا ينكر ما أخذه من الآخرين، مقابل الثانى الذى يخفيه وينكر فعله".

- السرقة "هى اعتداء يحصل من البعض على ممتلكات الآخرين بدوافع مختلفة".

- "السرقة نوع من السلوك يعبر به صاحبه عن حاجة شخصية، أو نفسية، أساسها الرغبة فى التملك بالقوة، وبدون وجه حق، أو بسبب العوز (الفقر والحرمان) والحاجة، وخاصة عندما يجد الطفل زملاءه يحصلون من ذويهم على كل ما يشتهون ويطلبون، وعدم قدرته على إشباع حاجاته ورغباته أسوة بزملائه".

الطفل.. والسرقة

لا يعرف الطفل قبل الخامسة بطبيعة الحال حقوق ممتلكات الآخرين الخاصة فهو لا يرى فى استعمالها من قبله واجتيازها إلا شيئًا طبيعيًا. فهذا ليس بسرقة ولكن مع مرور الزمن مع تمييز الطفل وحماية أهله للعبه وأشيائه من الأطفال الآخرين. ومع ضرب المثل الصالح من قبل الأهل، يصبح أكثر مقدرة على معرفة ما هو له وما هو لغيره. ولكن مع هذا يظل الطفل يأخذه أو يسرق إن جاز التعبير أشياء غيره بين الحين والآخر ولكن إن أصبحت السرقة عادة أو شبه عادة فلا بد عندئذ من الاستعانة باختصاصى نفسى للتوصل إلى معرفة السبب الذى يكمن فى بيئة الطفل غير السوية للعمل على إصلاحه.

وعندما يسرق طفل أو مراهق فإن ذلك يصيب الوالدين بالقلق. وينصب قلقهم على السبب الذى جعل ابنهم يسرق ويتساءلون هل ابنهم أو ابنتهم "إنسان غير سوى".

ومن الطبيعى لأى طفل صغير أن يأخذ الشىء الذى يشد انتباهه.. وينبغى ألا يؤخذ هذا السلوك على أنه سرقة حتى يكبر الطفل الصغير، ويصل ما بين الثالثة حتى الخامسة من عمره حتى يفهموا أن أخذ شىء ما مملوك للغير أمر خطأ.

وينبغى على الوالدين أن يعلموا أطفالهم حقوق الملكية لأنفسهم وللآخرين. والآباء فى هذه الحالة يجب أن يكونوا قدوة حسنة أمام أبنائهم. فإذا أتيت إلى البيت بأدوات مكتبية أو أقلام المكتب أو أى شىء يخص العمل أو استفدت من خطأ الآلة الحاسبة فى السوق، فدروسك فى الأمانة لأطفالك ستكون من الصعب عليهم أن يدركوها.

ولذلك فإن السرقة عند الأطفال لها دوافع كثيرة ومختلفة ويجب لذلك أن نفهم الدوافع فى كل حالة وأن نفهم الغاية التى تحققها السرقة فى حياة كل طفل حتى نستطيع أن نجد الحل لتلك المشكلة.

فى الطفولة تبدأ المشكلة

إذا تتبعنا التاريخ السابق لبعض اللصوص الذين يحترفون السرقة منذ الطفولة نجد أن التنشئة فى الأسرة لم تكن فى البداية سليمة تمامًا- فغالبية الذين يحترفون السرقة كانوا منذ طفولتهم يعانون غياب القدوة السليمة، ونشأتهم كانت فى بيئة لا تلتزم بالقيم الأخلاقية، وقد ثبت علميًا أن حوالى ثلث الأطفال الذين يرتكبون السرقات الصغيرة فى الطفولة وأيام الدراسة يتحولون إلى حرامية ولصوص كبار فيما بعد.. كما ثبت أن حوالى ٨٠٪ من محترفى السرقة قد بدءوا أولى خطواتهم فى هذا الاتجاه بسرقات صغيرة وهم فى مرحلة الطفولة!!

وتكون الفرصة أكبر للجنوح - أى للانحراف - فى الأطفال عند البلوغ فى مرحلة المراهقة وقد ينتظم بعض منهم فى عصابات تقوم بانحرافات وأعمال خارجة على القوانين منها السرقة والجرائم الأخرى. وتزيد احتمالات حدوث ذلك فى القطاعات التى تعيش ظروفًا اقتصادية واجتماعية فقيرة، وعند حدوث انهيار فى الأسرة نتيجة لانفصال الوالدين، ويحتاج هؤلاء الأحداث الجانحون إلى أسلوب يخلط بين الحسم والرعاية حتى لا يتحول غالبيتهم إلى مجرمين محترفين فيما بعد.

إن الطفل الذى يمارس السرقة بالرغم من عيشه بين أبويه اللذين لا يبخلان عليه بما أمكن من الألعاب والأمور الخاصة به، إن طفلًا كهذا تسهل معالجته وتقويمه من خلال الوقاية من أسباب السرقة، إضافة إلى إشباع حاجته للحنان، والتأكيد على استقلاليته، ومساعدته على اختيار الأصدقاء.

والوالدين يجب أن يتعاملوا مع أبنائهم بعد بلوغهم الخامسة من العمر حين يمارسون السرقة بحزم وقوة، ولا نقصد بها القسوة والشدة، بل يكفى أن يفهم الطفل أن هذا العمل غير صحيح وغير مسموح به، ولا بُدَّ من إرجاع ما أخذه إلى أصحابه والاعتذار لهم.

ويجب الالتفات إلى نقطة مهمة وهى: أنه من الخطأ إشعار الطفل بالذل والعار، لأنَّ تصرّفًا كهذا يدفع الطفل إلى السرقة ويشكل أضخم من الأول، ويدفعه إليه حبه فى الانتقام ممَّن احتقره وامتهنه.

وقد تكون بعض مؤشّرات السرقة قديمة، ترجع إلى أيّام الطفولة، فالطفل الذى يسرق بعض حاجيات زملائه التلاميذ، أو إخوانه فى البيت فلا يجد مَن يردعه ربّما تطاول ليسرق حاجيات أكبر، وربّما أصبحت سرقاته الصغيرة سببًا لاعتياده على السرقات الكبيرة.

الشعور بالملكية والمساواة

وهناك اتجاه عقلي يبدأ من سنوات الطفل الأولى وهو عدم التميز وفكرة التميز بين ما للفرد فيه حق وما ليس له فيه حق ليست سهلة. فالطفل يعيش عادة فى منزل كل ما فيه ملك للكبار فليس له ما يعده ملكًا له وأحيانًا يغلق الأمر عليه فلا يعرف إن كانت لعبة معينة ملكًا له أو لغيره. والآباء بشرائهم لعبة واحدة لجميع الأطفال دون تمييز يظنون أنهم يعلمونهم الإيثار بدلاً من الأنانية والواقع أنهم يربكون تفكيرهم فالطفل يشعر بالحاجة للملكية شعورًا تلقائيًا فى سن مبكرة جدًا إذ يبدأ يشعر بها أحيانًا خلال الفترة الأخيرة من السنة الأولى.

ويجب أن يشجع الشعور بالملكية من وقت ظهوره ولكن لا يجوز أن يبالغ فى تشجيعه إلى أن تتكون الأنانية والجشع للتملك ولا يجوز أن يهدم بحيث لا يجد الطفل فرصة لفهم حقوقه وحقوق غيره.

وإذا أردنا أن يحترم الطفل ملكية غيره وجب أن نبدأ نحن باحترام ملكيته فيجب بقدر الإمكان أن يكون للطفل أشياؤه الخاصة به، وفى الأسر التى بها أطفال ذوو أعمار متقاربة تحدث أحيانا مشاحنات يحسن ترك الأطفال للفصل فيها بأنفسهم وإذا تدخلت الأم فلتفصل بالعدل فكل طفل يستعمل حقه ولكن يصح أن يعطى الخيار فى أن يترك لعبته

لأخيه أحيانًا ولا بد من حدوث هذه المنازعات قبل أن يتعلم الطفل الأخذ والعطاء والتعاون يجيء متأخرًا عن تعلمه الملكية واعتزازه بها.

وإنماء الشعور بالملكية ثم إتباعها فى الوقت المناسب بإنماء روح التعاون والأخذ والعطاء مهم فى تكوين الذات وفى التكوين الخلقى الاجتماعى على وجه العموم.

السرقة والاستعداد لها:

إن السرقة ليست حدثًا منفصلاً قائمًا بذاته وإنما هى سلوك يعبر عن حاجة نفسية. ويمكن فهم هذا السلوك فى ضوء دراسة شخصية الطفل وطريق تكونها والوظيفة التى تؤديها السرقة لها فبينما نجد السرقة فى الحالة الأولى وسيلة لإثبات الذات نجدها فى الحالة الثانية وسيلة لحماية الذات.

- ولا بد من فهم وظيفة السرقة ومكانتها من تكوين الشخصية قبل الاتجاه نحو علاجها، والسرقة وما يضادها وهى الأمانة، ليست صفات فطرية طبيعية، وإنما هى صفات مكتسبة. وللسرقة أسسها الطبيعية فى الإنسان وهى الميل للتملك والاستمتاع بالقوة، إذ إن السرقة هى الاستحواذ على ما يملكه الآخرون بدون وجه حق، ونظرًا لأن السرقة ذنب اجتماعى فإن المجتمع يعطيها أهمية كبيرة بخلاف الصفات الشخصية السيئة كالتدخين أو العادة السرية فإنها لا تهم المجتمع كثيرًا لأنها لا تتناول فيما ينسب إليها من ضرر أشخاصًا

آخرين بطريقة مباشرة. أما السرقة والكذب والاعتداء والتشنيع وما إلى ذلك فإنها تعتبر صفات سيئة للغاية لأن الضرر الذى تتضمنه يؤثر فى الآخرين تأثيرًا مباشرًا.

- وهناك مهارات عقلية وجسمية تساعد على السرقة إذا توفرت لدى الشخص الرغبة فيها، ومن هذه المهارات سرعة حركة الأصابع وخفة الحركة عامة. ودقة الحواس من سمع وبصر والقوة الميكانيكية ووفرة الذكاء العام ودقة الاستنتاج والملاحظة.. وما إلى ذلك. ففى كثير من الحالات كان صاحب الحالة يفتح أقفالاً معقدة بقطعة من سلك ويقطع جيبًا لمسافر بموسى دون أن يحس المجنى عليه، أو غير ذلك من مئات الحيل والمهارات التى يلجأ إليها السارق وكثير ما تجتمع لباقة الحديث وبشاشة الوجه والميل للمساعدة مع هذه المهارات فتجعل عملية السرقة تتم بسهولة كبيرة للغاية، ويهمنا الوقوف على هذه المهارات العقلية والحركية والحسية حتى يمكننا توجيهها فى اتجاهات لصالح صاحبها وصالح المجتمع نفسه.

وهناك بعض الأمور يجب أن توضع فى الاعتبار فى عملية السرقة:

* معظم الأطفال قد يسرقون أحيانًا ولو لمرة واحدة على الأقل و لكن القليل منهم يداوم عليها بحرفية وعندما يكتشف الآباء ذلك للمرة الأولى فعليهم عدم المبالغة فى رد فعلهم تجاه ذلك فمعظم الأطفال يتعلمون بعد ذلك أن السرقة سلوك خاطئ.

* يعتبر تكرار السرقات بين الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين العاشرة والثانية عشرة مؤشرًا بأن الطفل قد يرتكب جرائم حقيقية فيما بعد كما أنها مؤشر على أن الطفل يعاني اضطرابات عاطفية خطيرة.

* أظهرت إحدى الدراسات أن عددًا هائلاً من الأطفال الذين تمت إحالتهم للتشخيص والعلاج النفسي لاتهامهم بالسرقة قد نشئوا في أسر تفتقد إلى الدفء الأسري أو الرعاية الشخصية.

* وعندما يكبر الأطفال يصعب ضبط السرقة واكتشافها و عندما تصبح السرقة مشكلة ملحوظة لدى طفلك فمن الأفضل التخلي عن الأسلوب الذي يلتمس للطفل إثبات براءته بدلاً من إثبات إدانته.

مظاهر وبوادر تنبئ باحتمال تعرض طفلك لكارثة سلوكية:

هناك خمسة أنماط سلوكية يمكنك من خلالها التنبؤ بالمراهقين الأكثر عرضة لمخاطر السلوك الإجرامي مثل السرقة أو الإدمان.

فإذا انطبق على طفلك أحد تلك الأنماط الخمسة فاعلم أنه معرض للوقوع في مخاطر سلوكية.

- إذا أخفق الطفل إخفاقًا ذريعًا في دراسته.
- إذا تعرض الطفل في الماضي لإهمال أو إساءة أسرية.

- إذا كان الطفل سريع التأثر بضغوط وقيم الأقران والأصدقاء.
- إذا كان الطفل يريد أن يثبت شجاعته واستعداده لخوض المخاطر.
- إذا كان الطفل ينحدر من أسرة تعتبر السلوك الإجرامي وسوء سلوك المراهقات أو الإدمان شيئًا عاديًا.

الشباب... والسرقة

إن المشكلات التى تواجه الإنسان كثيرة وقد تصدى القرآن الكريم والسنة النبوية لمشكلة السرقة حفاظًا على الممتلكات والأرواح وقد قال الله تعالى ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ وقد قال النبى ﷺ: (لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها).

وهذا يدل دلالة قاطعة على أن الإسلام يهتم بأمن المجتمع وحفظ الحقوق وصيانة الممتلكات واحترام حقوق الناس.

وحيث إن هذه المشكلة قد انتشرت فى مجتمعنا بين أوساط الشباب فلا بد من التصدى لمعالجتها فالإسلام الذى يعلّمنا احترام أموال الناس، ويشدّد فى عدم الاعتداء عليها بـ (السرقة) أو (الغصب)، والذى يربينا على أن نتصدّق عن صاحب (اللقطة) إنما الشىء الذى نجده فى الشارع أو المدرسة أو الجامعة ولا نعرف صاحبه إذا لم نعثر عليه لنردّها إليه، حتّى لا يضيع مال لأحد، والذى يضع عقوبة قطع يد السارق حتّى لا نتجاوز على حقوق الناس وممتلكاتهم ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا ﴾ يعلّمنا بكلّ تلك الدروس أنّ اليد ثمينة ما دامت أمينة فإذا خانت هانت ووجب قطعها.

وإذا لم يتلقّ ويعرف الشباب والمراهقون هذه الدروس ويهضموها جيّدًا، فإنّهم سوف لا يترددون فى سرقة جهود غيرهم بـ (الغش) فى الامتحانات والسطو على إنجازاتهم، ولا يتورعون عن الاحتفاظ بحفنة نقود، أو قطعة حليّ ذهبيّة يعثرون عليها فى شارع أو سيارة، ولا يترددون عن مغافلة أصحاب المحلاّت ليسرقوا ما تقع عليه أيديهم وأعينهم.

إنّ الشاب أو الفتاة اللذين يختاران السرقة تلبية لحاجاتهما وطموحاتهما يقضيان على طاقاتهما بالموت ليحيا فى نفوسهما نزعة شريرة واحدة وهى نزعة السلب والنهب والطمع بما فى أيدى الناس، فيحاولان سرقة قوتهم وجهودهم وحقوقهم، ولو بذلا جهدًا، وهما القادران المتمكنان على تحصيل ما يريدان بالطرق النظيفة والشريفة لما أعجزهما ذلك، واستطاعوا الحصول عليه ولشعرا بالسعادة لما يحصلان عليه بكدّ أيديهما وعرق جبينهما.

فالفوارق الفردية الاقتصادية قد تجعلنا نبذل جهدًا أكبر لتضييق مساحتها والقضاء- ما أمكن- على بعض أسبابها، وأن نستذكر النعم الأخرى التى نتفوّق بها غير المال والثروة، لكنّها لا يجب أن تدفعنا بحال إلى أن نكون لصوصًا نسرق بيوت الناس لنعمرّ بيوتنا.

إنّ قيام عدد كبير من الشباب والرفاق بالسرقة وعمليات السطو لا تشكّل أو تعتبر سببًا أو مبررًا لأن أكون سارقًا وأضيف رقمًا

آخرًا لقائمة اللصوص، فتقليدهم فى السرقة لا يعفيهم من المساءلة أمام الله.

إنّ للقمة الحلال.. والكسب الحلال.. والمال الحلال.. والفوز الحلال، طعمه اللذيذ الذى لا يستطيع السارق أن يتذوّقه، فكسرة خبز تكسبها عن طريق الحلال هى أطيب من مائدة حرام تتلذذ بها لوقت محدود وتدفع ثمنها لوقت طويل.

إنّ وقفة متأنّية لاستشعار الألم والأسف والمرارة التى يشعر بها المسروق ربّما تعيد للضمير صفاءه فيتراجع السارق عن سرقته، فلو وضع نفسه فى مكان المسروق منه، وتذكّر ما سيصيبه عندما يجد ماله أو ما يملك مسروقًا فلربّما منعه ذلك من التمادى فى السرقة.

ويبقى العلاج الأكبر وهو فى القضاء على العوامل المسبّبة للسرقة، فالإسلام الذى لا يقيم الحدّ على السارق فى زمن المجاعة فلا يقطع يده، يقول: جفّفوا موارد السرقة أوّلاً وقبل كلّ شىء.

أنواع السرقة وأشكالها

هناك نوعان من السرقة يجب أن نميز بينهما، السرقة التى يقوم بها الطفل العادى، والسرقة التى يقوم بها الطفل العصابى...

١ - السرقة عند الطفل أو الشخص العادى

فالطفل العادى قد يسرق ، فهو ببساطة يود إشباع رغبة فى التملك أو أنه يكون مغامرًا بين أصدقائه، ولم يميز بين ما يخصه وما يخص الآخرين، وكثير من الأطفال يقومون بهذا النوع من السرقة حتى سن معينة، وعندما يكبر الطفل وينمو الوعى لديه بصورة واضحة تقل حالات السرقة.

إذن كثير من الأطفال يقومون بالسرقة من النوع العادى حتى سن معينة. فنسمع كثيرًا من مديرى المدارس أن التلاميذ يأخذون أو يقطفون ثمار حدائق المدرسة وزهورها. وعندما يكبر التلاميذ وينمو الوعى لديهم بصورة واضحة تقل حالات السرقة.

وسرقة التلميذ للمدرسة تعتبر حالة شائعة فالسرقة العامة تلعب فيها المغامرة دورًا مهما وكذلك الاستعراض أمام زملائه وأمور أخرى مثل القيادة والجرأة والشجاعة إلى آخره من العوامل التى يبدى الأطفال من خلالها قدراتهم.

وكثيرًا ما نجد طفلاً يسرق فى سن الثالثة عشرة ومع استمرار نموه يصبح مواطنا صالحًا وما أطول فترة النمو التى يصبح بعدها الطفل كائنا اجتماعيًا صالحًا.

وكطفل فى بداية حياته يتميز بالأنانية ويستمر ذلك حتى بداية البلوغ بعدها يتقبل بصفة عامة فكرة التطابق مع الآخرين.

ويصل مفهوم أنا والآخرين إلى النضج عندما يصل الفرد ككل إلى نضج شخصيته.

فإذا ما كان الأطفال محبوبين وأحرارًا سيصبحون طيبين وأمناء، والأمانة خاصية مكتسبة وتظهر متأخرة فى نمو الإنسان بظهور الملكية الخاصة.

وربما كان العامل الأهم، ظهور صفة الأمانة هو الخوف فليست هناك أمانه مجردة تمنع الفرد من الغش عند ذكر دخله السنوى لحساب الضرائب ولكنه الخوف من افتضاح أمره وما يتبع ذلك من مأساة اجتماعية قد تدمر سمعته وعمله وحتى منزله.

وعندما يكون هناك قانون يقف حائلًا ضد أى خطأ فيجب أن يوضع فى الاعتبار أن وجود هذا القانون إنما هو تعبير عن وجود ميل فى الأفراد لأن يجنحوا فى الاتجاه المضاد أى يخطئوا ويتعدوا حدود القانون.

وهناك عدة قوانين فى كل الدول ضد السرقة والنهب والغش وغير ذلك وكلها قائمة على الاعتقاد بأن الناس سيسرقون كلما أتيحت لهم الفرصة وهذه حقيقة ولذا فإننا لا نقول أن هناك أناس أمناء وغيرهم غير أمناء بل إن الأمانة درجات على خط متصل فقليل من الناس مثلاً سوف لا يتهرب من دفع الضرائب الجمركية على ما يحمله من أشياء أى أن يلجأ إلى التهريب.

وقليل أيضًا من الناس لا يغش عندما يطلب منه ذكر إيراده السنوى لحساب الضرائب المطلوبة منه ومع ذلك يضطرب الفرد اضطرابًا شديدًا عندما يعلم أن ابنه سرق قرشًا.

ومن جهة أخرى فعند تعامل الناس معًا يتميز أغلبهم بالأمانة فى أجمل صورها ومن السهل مثلاً أن تضع ملعقة فضية فى جيبك عندما تكون فى ضيافة أحد من الناس إذا فكرت فى ذلك ولكننا فى أغلب الأحيان لا يخطر ببالنا ذلك الأمر ولكن قد يحظى ببالنا أن نعيد استخدام تذكرة القطار أو الأتوبيس التى نسى جامع التذاكر أن يختمها وأن يأخذها منا.

وكثيرًا ما يفرق الأفراد بين ما يخص الفرد وما يخص مؤسسة أو منظمة سواء كانت تتبع الدولة أو تتبع فردًا فلا خطأ فى أن يغش الفرد شركة التأمين ولكن الخطأ أن نغش بقالاً.

ولكن الطفل لا يميز بين المواقف بهذه الصورة ودون تمييز سيسرق من زملائه فى الفصل ومن مدرسيه ومن المحال التجارية.

ولا يسلك جميع الأطفال هذه السرقة ولكن كثير من سيوافقون على المشاركة فى المسروقات وهذا يعنى أننا سنجد بين أطفال الطبقة المتوسطة ممن هم متحررون و سعداء من نفس النوع من عدم الأمانة الذى يظهر بين الأطفال الأكثر فقرًا.

وإننا لنجد كثيرًا من الأطفال يسرقون عندما تتاح لهم الفرصة والسرقة فى نظر الطفل فرصة ذهبية عندما يبحث ولكنه عذاب جحيم فى الآخرة.

والأطفال لا يسرقون بطبيعتهم فالطفل الذى ينشأ فى جو مملوء بالحب سينمو تاركًا سن السرقة ويصل إلى النضج ليكون إنسانًا أمينًا.

٢ - السرقة عند الطفل أو الشخص العصابى:

هذا النوع من السرقة هو الذى أصبح عادة أو سرقة قهرية فهو يميز الطفل العصابى، والسرقة التى يقوم بها هى دليل على نقص الحب والدافع إليها لا شعورى.

وفى كثير من حالات سرقات الأحداث يشعر الطفل بأنه غير محبوب وسرقته إنما هى محاولة رمزية للحصول على شىء ذى قيمة كبيرة.

وسواء كانت السرقة فى صورة نقود أو جواهر أو أى شىء فإن ما تريده الرغبات اللاشعورية هو سرقة الحب، وهذا النوع من السرقة يمكن علاجه فقط بمنح الحب للطفل.

ويصبح الموقف أكثر تعقدًا عندما تشير السرقة إلى نقص فى الحب الأبوى وزيادة فى الإحباطات الموجهة نحو الجنس، وهنا تظهر الحالة المسماة (كليبتومانيا) أو هوس السرقة الرمزية القسرية وهى حالة فقد القدرة على التحكم فى حركة اليد عندما تمتد إلى شىء ممنوع أو محرم.

وهذا النوع من السرقة يعد إنذارًا مهمًا للآباء ليتنبهوا إلى خطأهم ويبدءون ثانية فى التعبير صراحة للطفل أنهم أخطئوا بما فرضوا عليه من قيود وحرمان، ومن الصعب على المدرس أن يعالج هوس السرقة دون مساعدة من والدى الطفل، كما أن أفضل الأشخاص قدرة على تخليص الطفل من عوامل الإحباط هو الشخص الذى كان سببًا فى ذلك.

وقد يكون أيضًا الدور المهم الذى يقوم به الأخصائيون النفسيون والاجتماعيون فى محاولة فهم الطفل فهمًا سليمًا وفى معاملته بأسلوب بعيد عن التحقير وفهم سليم للدوافع الحقيقة التى تكمن خلف هذا السلوك أو ذاك.

وكلها تعد عاملاً مهمًا فى علاج مثل هذه الحالات واتباع أساليب أخرى خالية من منح الحب والتقدير والقبول يصبح معوقًا للعلاج ومدعمًا للسلوك المنحرف الجانح.

ويخطئ الآباء كثيرًا عندما يلقون اللوم على رفقاء السوء وأفلام العصابات وضعف السيطرة الوالدية على الطفل لأن الأب كان فى الجيش، أو فى عمل يتغيب فيه معظم الوقت.

الأمر الذى أدى إلى أن يصبح الطفل غير أمين أن كل هذه العوامل ذات تأثير ضعيف إذا كانت تنشئة الطفل طبيعية وإذا منح الحب والتقبل.

فالعلاج الفعال يكمن فى محاولة جادة يبذلها الآباء فى تغيير أسلوب معاملتهم للطفل والإنسان السعيد لا يسرق قهريًا ولا باستمرارية.

وهناك من ذكر أشكال السرقة وأنواعها على النحو التالى:-

١ - السرقة الكيدية:

بعض الأطفال يلجئون إلى سرقة الأشياء عقابًا إما للكبار أو لأطفال مثلهم حتى يصيب هذا الشخص المسروق الهلع والفزع وذلك نتيجة وجود كراهية أو دوافع عدوانية تجاه الآخرين.

٢ - سرقة حب التملك:

إن أغلب الأطفال تقريبًا مارسوا نوعًا من السرقة فالأمر ينطوى على إشباع حاجة بدأت مع الرغبة للاستحواذ أو التملك على مستوى من العاطفة فى مراحل النمو النفسى الأولى برغبة الطفل الرضيع فى الاستئثار بالأم وقد ينجح.

٣ - السرقة كحب للمغامرة والاستطلاع:

قد نرى بعض الأطفال ينتظرون غياب حارس الحديقة للسطو على قليل من ثمارها قد لا تكفى طبرًا إلا أن دافع السرقة هنا ليس الجوع والحرمان ولكن حب الاستطلاع والمخاطرة وروح المغامرة.

٤ - السرقة كاضطراب نفسي:

إن العوامل النفسية وراء السرقة كثيرة متعددة ولا يمكن تفسير سلوك السرقة بدافع واحد مثل الحاجة إلى النقود أو الجوع أو الاستطلاع، وقد تتفاعل الدوافع النفسية مع عوامل بيئية، وقد تكون السرقة نتيجة حالة نفسية أو ذهانية مرضية يعانيها الطفل وتظهر بشكل اضطراب سلوكي مثير.

٥ - السرقة لتحقيق الذات:

قد يلجأ الطفل إلى السرقة لإشباع ميل أو رغبة يرى فيها نفسه سعيدًا أو ظهرت بصورة أفضل.

٦ - السرقة نتيجة الحرمان:

قد يلجأ الطفل إلى السرقة تعويضًا للحرمان الذى يقاسيه. فقد يلجأ إلى سرقة ما هو محروم منه أو ما يساعده على الحصول على ما حرم منه.

- وقد ذكر بعض العلماء والباحثين أنواعًا أخرى للسرقة منها ما يلى:

١- سرقة ذكية أو غبية: السرقة الذكية تكون أن يستولى الشخص (الطفل) على ما يريده بطريقة يصعب اكتشافها.. أما السرقة الغبية ليس فيها الحرص الكافى ويتكشف السارق بسهولة.

٢-سرقة عارضة أو معتادة: السرقة العارضة فيها يخضع الشخص أو (الطفل) للإغراء أو التحريض مرة أو مرات ثم يرجع عنها.. والسرقة المعتادة تكون عديدة ومتكررة ولا يتمكن من الرجوع عنها.

٣- السرقة للحاجة والسرقة للمباهاة: السرقة للحاجة هى لأشياء يحتاج إليها الشخص أو (الطفل) ومحروم منها.. والسرقة للمباهاة فالشخص يسرق لمجرد المباهاة والتفاخر أمام أصدقائه.

٤- سرقة فردية وسرقة جماعية: السرقة الفردية أن يقوم الشخص أو (الطفل) بمفرده بالسرقة دون شريك.. والسرقة الجماعية يحدد فيها رئيس الجماعة دور الشخص (الطفل) فى هذه العملية.

مظاهر السرقة: يمكن النظر إلى السرقة من جوانب ومظاهر عديدة أهمها

أ - **العدوان:** السرقة عدوان من طرف السارق على ما يملكه الآخرون.

ب - **الخيانة:** السرقة نقيض للأمانة كفضيلة من الفضائل التى يسعى المجتمع إلى تحقيقها فى حياته.

ج - **سوء التكيف:** السرقة مؤشر سوء تكيف الفرد السارق مع الآخرين نتيجة لما يعانيه من مشكلات أو اضطرابات نفسية كالحرمان والإحباط وعدم إشباع الحاجات.

د - **سوء التوافق الاجتماعي:** السرقة تحمل الفرد على الانسحاب من المجتمع لشعوره بالذنب وهذا يؤدي إلى عدم توافق السارق اجتماعيًا مع الآخرين.